المبحث السابع عشر:

دبلوماسية الموقف

أما دبلوماسية الموقف فتتمثل في الدبلوماسية التي تبنى في ضوء ثوابت الشعوب وقضاياها الكبرى، وتبقى دبلوماسية الشعوب وممثلوها، هي الدبلوماسية التي تترك بصماتها على صدر التاريخ بإبداعاتها المنتصرة، وحتى بهناتها التي تواجهها بفعل القوى الغاشمة ودبلوماسيتها التي ترمي إلى الإيقاع بقضايا ها، هذه البصمات والإبداعات التي نقرأها في الأمثلة التالية:

البند الأول: تضامن الذاتي والموضوعي.

إن تضامن الذاتي والموضوعي وتفاعله وتكامله، في العمل الدبلوماسي الإبداعي، دائما يخلق ويحقق نتائج جديدة لم تكن موجودة أو معروفة من قَبل، ويتجلى هذا الإبداع الذاتي في العمل الدبلوماسي من خلال مدركات عدة كما نعتقد، قد يستطعها الدبلوماسي (ولكنها لا تشكل إبداعاً بحد ذاتها)، بل قد تؤدي إلى الإبداع، حيث وصفت المعركة الدبلوماسية التي خاضتها "الدبلوماسية الفيتنامية" مثلاً مع أميركا إبان حرب التحرير بالدبلوماسية الخلاقة، حين حققت إنجازات وأثمرت نتائج خلاقة وملحوظة، حينما زاوجت بين (المقاومة والدبلوماسية وعدم ضياع البوصلة) كما هي عليه {الدبلوماسية السورية} التي انتهجت مواجهة الإرهاب وممارسة دبلوماسية الصبر والنفس الطويل المقاوم، دون ضياع البوصلة.

البند الثاني: دبلوماسية الموقف المبدئي.

إن دبلوماسية الموقف المبدئي السيادي، تجسده بامتياز الدبلوماسية التي خاضتها إيران في المسألة النووية مع أميركا والغرب، حيث ابتكرت سبلاً خلاقة وجديدة

في العمل الدبلوماسي من حيث التمسك بالحق والاتسام بالصبر والأناة ومعالجة المحاور الداخلية والاقليمية والدولية، بحكمة وبحنكة ومسؤولية عالية، دون أن تؤثر أو تمس جوهر الهدف، كما عبرت عن فهم وإدراك عميقين لما يجري خلف الجدار الدبلوماسي للعدو، وفهمت نمطية العقل المفكر والمدبر الذي يواجهها.

لأن هذه الدبلوماسية التي استخدمت لإفشالها وحرفها عن مسارها الضغوطات الاقتصادية والمعنوية والعسكرية، وشكلت لعرقلتها المحاور الإقليمية والدولية لم تجعلها تتأثر، أو تزحزحها عن ثوابتها، فالدبلوماسية الإيرانية بقيت محافظة على تماسكها ولم تتح المجال للتأثير بتلك الثوابت، من خلال النهج الدبلوماسي الذي يعرف مساره، ويحسن اختيار كادره المفاوض، الذي يُكلف ويُبدل ويظهر ويتوارى وفق منظور استراتيجي بعيد النظر، بُغية تفويت الفرصة على الخصم من التأثير في المسار والكادر بمختلف مستوياته، عبر كافة المراحل التي عاشتها هذه الدبلوماسية، وعبر الرؤية الوطنية التي وضعت والكادر الذي كُلف بالتنفيذ، فأفشل ما خطط له حينما استطاعت أن تستخدم أدواتها بدقة وفي مكانها وزمانها.

ونلاحظ في هذه الممارسة، التضامن والتكامل والتناغم بين الحنكة الدبلوماسية الفردية، والرؤية الموضوعية العلمية الشاملة التي وظفت ونسقت جميع "عناصر الموضوع" وزجت به في خدمة الهدف الذي نفذته القدرات الدبلوماسية الفردية المتكئة (على مؤسسة صنع القرار، وعلى الإرادة الشعبية الخلاقة وعلى القدرة والحنكة التي تتسم بها المؤسسات القيادية، في المواكبة والتحليل وتوخي تفصيلات الاحتمال القادم، وتصنيع الخطوات التي يمكن أن يتم اتخاذها و الإعداد لأية خطوة استباقية يمكن تنفيذها، لتفوت على القوى المضادة إعاقة تلك الدبلوماسية الوطنية).

إننا نقول ذلك ونحن نعلم الجهد الدبلوماسي المبذول إقليمياً ودولياً للحيلولة دون إنجاح الدبلوماسية الإيرانية، وللحيلولة دون اتخاذ الخطوات الناجحة وصنع القرارات اللازمة، التي تقودها هذه الدبلوماسية.

obeikandl.com

ورغم بُعد المقارنة، إلّا إن ما عاشته الدبلوماسية الإيرانية مثلاً، لم تعشه الدبلوماسية العراقية إبان الحرب العراقية الإيرانية، ولا إبان العدوان والاجتياح الأميركي للعراق، ولا حتى قبل وبعد دخول العراق للكويت، هذه الأحداث التي تبرز عادة من خلالها أدوار مؤسسات صنع القرار السياسي والدبلوماسي، وتبرز الشخصيات المؤهلة التي تقوم بالتخطيط والتنفيذ.

حيث نجد أن الدبلوماسية التي صاحبت هذه الحروب، حصدت نتائج تدميرية بينما الدبلوماسية التي خاضتها إيران مع الغرب حول سلاحها النووي، تمخضت عن نتائج ممتازة لصالحها حتى الآن .

صحيح أنه تم تخفيض أجهزة الطرد المركزي إلى الثلثين أي إلى (6104) في تخصيب اليورانيوم، لكن إيران حققت أهدافاً هامة منها:

- السماح لها باستخدام(5060) من الجيل الأول لمدة عشر سنوات.
- إبقاء نسب التخصيب ضمن الحدود التي تريدها إيران بدبلوماسيتها هذه... إنه نصر للدبلوماسية الإيرانية.

البند الثالث : مدركات العمل الدبلوماسي.

إن هذه المدركات إن تم أخذها بعين الاعتبار، فإننا نعتقد بأن ممارسها سوف يحقق منجزات ملموسة، ويزيل معوقات غير محمودة على أن يفهم الدبلوماسي فهما عميقاً للموضوع المعالج ويدرك تشعباته الإقليمية والدولية، وأثرها على الداخل والخارج للدولة ومن هذه المدركات:

1 - أن يدرك الدبلوماسي، بأن اختيار اللباقة الدبلوماسية، يجب أن توائم طبيعة الموضوع المعالج وماهيته، دون أن يؤثر هذا الاختيار على تماسك الشخصية الدبلوماسية، لأن اللباقة في كثير من الأحيان تفتح نوافذ إنفاذ للآخر قد تستغل، كما يجب أن تتساوق اللباقة وطبيعة وتقاليد وثقافة من

يحاور أو يفاوض بحيث يجعل التعليمات المكلف بها قابلة للقبول والتأثير لدى محاوري البلد المضيف، هذه الحال التي يمكن أن يطلق عليها (ابتداع الأسلوب الذي يخدم الهدف).

2 - أن يضع الدبلوماسي نصب عينيه ضرورة وضع مشاعل على طريق الذهاب، وعد م إطفاء شموع الإياب .

3 - محاولة بناء جسور التعاون بين البلدين، وإن لم تستخدم في حينه تلك الجسور، بحيث يتم إشعار الآخر بالمساهمة في هذا البناء كأن يرسم آفاقا جديدة لم تكن معلومة أو موجودة من قبل، بعد أن يدرس موجباتها وفائدتها وقابليتها للتنفيذ بين البلدين، وأن ينتقل بالمصالح القائمة من حدها الأدنى إلى مستوى يعكس استجابة سياسية واقتصادية وأمنية عليا.

4 - أن يدرك بأن الثوابت يمكن الدوران حولها، ولكن دون الغوص في فسيفسائها والإساءة إليها، موقنا بأن احترام الثوابت له مقصده، لأنه يسهم في تحسين بيئة العلاقات البينية والخطوات المراد سلوكها، دون أن نجعل هذا البلد أو سواه يشعر بأي امتعاض، ويأتي احترام المقدسات من الحسنات التي تعطي الدبلوماسي حرية الحركة التي لا تُعطى أي تأويلات سلبية.

5 - أن يدرك بأن سحر كلمة (ممكن) وممارستها في مكانها وزمانها المناسبين تشكل وتفتح في كثير من الأحيان آفاقاً أوسع لحركة أكثر مرونة، وإلى معطيات أكثر عمقا ووفرة في تحقيق الهدف المنوي الوصول إليه.

6 - أن يؤمن بأنه قادر على التجديد وان يدرك بأن حنكته وفهمه للأوراق التي يستخدمها يخلق الجديد الأفضل .

7 - أن يمتلك القدرة على سبر متطلبات الغد، وأن يسهم في وضع الرؤى، وأن يدعو إلى اتخاذ خطوات استباقية من قبل مرجعيته حينما يزود مركز صنع القرار في بلاده بكل جديد، وأن يعي بأن التغيير الشكلي أو العكس يجب أن يؤثر ويتأثر فيه الآخر.

8 - أن يدرك بأن الحديث بلغة البلد المضيف، يستلزم إجادتها وإجادة معانيها وفقهها وتورياتها، وإلا عليه أن يستعين بالمترجم (بغية)حماية المضمون الذي يريد، ولتلافي الهنات التي قد تُرتكب و لتُرمم ويُوضح الغائم والمُفسر خطأ منه وأعتقد بأن وجود المترجم يشكل "فاصلة تمعن" هامة لهذه الغاية.

9 - فهم القانون الدولي وفقهه، ضرورة لازمة في العمل الدبلوماسي كي يكيف الدبلوماسي، سلوكه ومواقفه، مع قوانين المنظمات الإقليمية والدولية ذات الصلة، ومع القوانين الداخلية لبلده والبلد المضيف، وأن يعلم تفصيلات وحيثيات القانون الدولي وتقاطعاته، مع قوانين تلك الجهات، وأن يدرك بدقة تناقضات هذا القوانين وأن يعي بعمق مكامن الثغرات التي تعتريها لأن في هذه الثغرات يكمن المنفذ الممكن للخروج إلى فسحات الحلول للعديد من المشكلات المعقدة، وهذا ما يسمى بالتكييف أو لجوء فرسان الدبلوماسية الدولية إلى التحكيم الدولي ، في بعض الأحيان.

البند الرابع: هل الدبلوماسية مرهونة بنتائجها ؟

بغض النظر عن مختلف الآراء التي تقال في هذا الموضوع، فإنني أقول بأن الدبلوماسية مرهونة بنتائجها، سواء كان الفاعل بها مؤسسة أم فردا أم منظمة، لهذا فإنني أرى:

ا - بأن من يملك رقبة الإبداع في العمل الدبلوماسي، هي بداية مراكز ومؤسسات صنع القرار، هذه المراكز التي قد تضيِّق مدى خطوة الإقدام والإحجام لدى الدبلوماسيين "الأفراد" نحو عملية الإبداع، ولذلك تجدنا نواجه العديد من

الشخصيات الدبلوماسية الفاعلة والمؤثرة إقليمياً ودولياً تطل بعد حين إطلالة مختلفة عن إطلالاتها السابقة، حين كانت تعمل في السلك الدبلوماسي لتقول: هنا تحقق الصح وهناك حصل الخطأ، هنا كان يجب أن نفعل كذا، وهناك كان يجب أن نفعل كذلك، إلخ..

ب - في كثير من الأحيان نجد هؤلاء الدبلوماسيين، يعزون "الإحجام أو الإقدام" نحو عمل ما، إلى أسباب اخرى حيث يؤكدون: (بأن أراء لم يؤخذ بها لأسباب يجهلونها أو يعلمونها، والقليل من هؤلاء الذي يعترف بالقصور (في الأداء والإبداع و التردد و الفشل).

ج - في هذا السياق أتساءل، هل يقتصر العمل الدبلوماسي على من تعتمدهم الدولة من الدبلوماسيين؟ أم يتعداه إلى غيرهم، سواء كانوا (سفراء أم مبعوثين؟)

أن هذا التساؤل أطرحه قصداً، لأن التطورات التي يشهدها الإنسان وحاجاته تفرضه بشده، وبخاصة في عصر التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة التي قربت المسافات واختصرت الزمن، والمقبلة أكثر نحو التطور الأكثر مما هي عليه الآن، رغم أن البعض يرى بأن هذه التقنيات لا يتسم استخدامها بهذه السمات، بل هي تشكل أو تصنع بعض المعيقات التي لم تكن بالحسبان، ولذلك منهم من يرى فيها هذه السلبية .

إن هذه الحال المتنامية الحياتية المعاصرة، فرضت الحاجة إلى الدبلوماسية الموازية، وإلى أن يخرج الاعتماد التقليدي للدبلوماسيين عن المعهود، حيث يعتمد المبدعون المرغوبون في المجتمعات، من علماء وكتاب وفنانين، ومن الذي يحسون نبض الحياة ويعيشون معاناة الشعوب ويعكسونها قولاً وكتابةً وفعلاً.
الأمر الذي وسَّع إطار الخيار في الاعتماد الدبلوماسي للدبلوماسيين حيث أصبحت الدول، وحتى المنظمات الدولية تلجأ إلى الخيار من خارج السلك الدبلوماسي التقليدي، فكان منهم {سفراء النوايا الحسنة - وسفراء المساعي الحميدة وحقوق

الإنسان، وسفراء الوطن في المهمات الخاصة والعامة، على مختلف المستويات الإقليمية والدولية وبخاصة في المسائل الشائكة}.

obeikandl.com